تعقيبـــات ...

للاستاذ عباس حسان خضر

أعداء المرأة :

منذ سنين أطلق بعض المروجين للأستاذ توفيق الحكيم عليه لقب (عدو المرأة) ، واتخذت المجلات الشعبية هذا اللقب مادة للتندر فيما يتصل به ، وطاب ذلك للأستاذ نفسه ، فأكثر في كتاباته مما يثبته ويسيره بين الناس ، وكان بين الناس ، ولم يزل بينهم ، من يتساءل عن معنى هذه العداوة . وأكثر هؤلاء المتسائلون تساؤلهم لما رأوا أخيراً الدكتور زكي مبارك يعلن بنفسه في مجلة (مسامرات الجيب) أنه عدو المرأة ، ويتبع ذلك بحملة عشواء ... يملو فيها مثار النقع ، وتنجلي غمراتها عن هزيمة الجنس الناعم أمام أسلحة الشتائم التي جرد منها بالتثقيف والتهذيب ، واتخذها بعض الرجال أداة لحربه ...

ويعجب المشاهدون لهذه المعامع من هؤلاء (الأبطال) الذين يريدون أن يمكروا صفو المودة بين الجنسين التي هي من آيات الله الذي جعل لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها وجعل بيننا مودة ورحمة ؛ ويعجبون أشد العجب لتحقير اللائي هن من أنفسنا ونحن منهن ولا يحق لهن إلا الكرامة والإعزاز

ويقول السائلون عن معنى تلك العداوة : أهي عداوة جنسية بحيث يدعو أولئك الغاوين سائر الرجال إلى حرب النساء ، ويضطر النساء إلى المقاومة ، فيقف الجنسان في الميدان صفين على رأس أحدهما توفيق الحكيم وزكي مبارك ... ؟

ما الرجل ؟ وما المرأة ؟ أليسا نصفي شيء واحد هو الإنسان ؟ وهل يستطيع هذا الإنسان أن يتحرك إذا شل نصفه ؟

إن الرجل ليس رجلا إلا لأن هناك امرأة ، فهما متقابلان لا وجود لأحدهما دون الآخر ، وليست المرأة إلا شريكا للرجل له قيمته ، وليس من الرجولة أن ننتقصه ونتنكر له !

فإذا كان من يتسمون أعداء المرأة يريدون أن يحاربوا عيوباً تتصف بها ، ونقائص جرت أو طرأت عليها ، فليس السبيل إلى ذلك إيذاء شعور الكرائم وجرح نفوسهن بتلك المهاترات ، إنما السبيل هو الذي يسلكه ذوو الألباب من التنديد بالنقائص والعيوب والدعوة إلى نبذها والتجمل بأضدادها ، كما يصنع الأستاذان الطنطاوي وسيد قطب في « الرسالة » الزاهرة

وليس للرجل أن يعيب المرأة — من حيث هي امرأة — لنقائص في جنسها ، أولأن أفراداً منه حادوا عن الجادة ، فالرجال في ذلك كالنساء ، بل إن من الرجال من لا تستطيع أشد النساء إمعاناً في الخزي أن تبلغ شأوه في هذا المضمار ، وهم التشبهون بهـا ... ومن يتخذونهم بدلا منها ... ومع ذلك لم نسمع أن امرأة نودي بها أو نادت بنفسها عدوة للرجل ... !

فعداوة الجنس برمته لا موضوع لها إلا أن يكون القصد منها الترويج والتهريج والتظاهر بأعجب البطولات !

رؤيا لم تقص :

رأى أحد الأشرار في نومه أنه قتل رجلا ، ولم يستطع الفرار ، فوقع في يد الشرطة ، وقدم إلى المحاكمة . وحكم عليه بالإعدام ، وحل وقت التنفيذ ، وأتى به إلى المشنقة ؛ وبينما كان الرجل سابحاً بفكره في رؤياه دخلت زوجه لتوقظه ، وفي اللحظة التي وصل فيها إلى أن كان الجلاد يعدُّ له حبل المشنقة — لمست يد زوجه عنقه ، فقامت هذه اللمسة مقام الحبل في التأثير في الرجل ... ففاضت روحه .

مهلاً قارىء « الرسالة » ، فأنا أعرف فطنتك ، وما يقاس ذكاء مثلك بمثل هذه الحكاية ، فلا إخالك إلا سائلا : وكيف عُرف أن الرجل رأى هذه الرؤيا وقد اتصل نومه بالموت فلم يقص رؤياه على أحد . . ؟ !

وبعد ، فقد قرأت قصة (قطر الندى) للصديق الكريم الأستاذ محمد سعيد العريان التي ظهرت في سلسلة (اقرأ) ، وهي

قائظاً يكاد يلتهب فرأيا الوز واقفاً على رجل رجل .

فقال جحا :

أرأيت صدق ما أقول

فأسرع صاحبه إلى الوز وهشّه ، فجرت كل وزة على ساقيها فقال له :

أرأيت الآن لكل وزة ساقين ؟

فقال جحا متبالهاً :

آه ! لقد ذبحتها يا صاح من غير أن أقول لها هش !

قصة ممتعة جلاّها أسلوب المريان الطلي وحلاّها براعته الفنية ، ولكني وقفت فيها عند رؤيا لم تقص ... لست أدري كيف عرفها الأستاذ المريان ؟ !

ذلك أن (أم آسية) حاضنة قطر الندى بنت خارويه بن أحمد ابن طولون — رأت ذات ليلة أنها في قصر عظيم تزف فيه قطر الندى بنت ملك الغرب (خارويه) إلى ملك الشرق (الخليفة العباسي) ، وكأنها (أم آسية) أم العريس ، وقد أفسحوا لها حتى دخلت إلى دار الحرم فشاهدت قطر الندى جالسة على سريرها... وحملها أريج البخور على جناحين من لهب إلى السماوات ، فما تنبهت إلا على صائح يصيح .. !

وقصت رؤياها على سيدها خارويه راجية منه أن تكون ماشطة الأميرة يوم زفافها ... ثم كبرت الأميرة ... وهيئت للزفاف إلى المعتضد ، وسار ركب العروس من مصر إلى العراق . وفي بعض منازل الطريق نامت أم آسية ماشطة العروس ذات ليلة ، فرأت تمام الرؤيا التي بدأتها في منامها منذ سنين ... حملها الأريج إلى السماوات ، وسمعت هذه المرة صيحة الصائح ... عرفته وفهمت عنه ... رسول من مصر يهتف بنبأ مروع ... قال الأستاذ : « وطوت صدرها على السر فلم تكشف لأحد عن خبره » . وقال : « واشتد بها الوجع ذات ليلة في بعض منازل الطريق ، وأصبحت ميتة لم تكشف عن سرها ولم تتحدث إلى أحد برؤياها ! »

وعرفنا من حوادث القصة بعد ذلك أن تمام الرؤيا قد تحقق كما تحققت بدايتها ، إذ كان النبأ المروع أن غلمان خارويه وثبوا عليه فقتلوه !

ولا أشك في أنك الآن مشاركي العجب من معرفة الأستاذ المريان رؤيا أم آسية الثانية وهي لم تتحدث إلى أحد بها ! اللهم إلا أن يكون قد رأى أم آسية في نومه فأفضت إليه بالسر الذي طوته حقباً من الدهر ... ؟

في تعليم اللغة العربية :

كتب الأستاذ عادل الغضبان في مجلة الكتاب الصادرة في أكتوبر الفائت مقالا بعنوان « اللغة العربية بين المعلم والطالب » بين فيه ما رآه من أسباب ضعف الناشئة في اللغة العربية ، ووزع التبعة في ذلك بين الطالب والمعلم والمنهج ، فالطالب منصرف عن الدرس مقبل على مطالعة صحف المتعة والتسلية ، والمعلم مرهق بكثرة العمل مشغول بأسباب معاشه في عصر كثرت فيه المطالب والنفقات . وقد أفاض الأستاذ في هذه النقطة فأنصف المعلم ودعا الدولة إلى رعايته وتقديره

وتلك أسباب لضعف الطلبة في جميع المواد لا في اللغة العربية وحدها ، ويظهر أن الكتاب ، لغيرتهم على اللغة العربية وتشبعهم بحبها ، يقصرون الكلام عليها حينما يتعرضون لشئون التعليم من حيث انخفاض المستوى العلمي للطلبة مع أنه يكاد يكون على سواء في جميع المواد

أما كلام الأستاذ في المنهج ، فقد تضمن ما نخالفه فيه ، عاب معالجة المنهج المشحون بالحذف والتبسيط ، ولكنه لم يقل بم يعالج ، فمن المعلوم أن ازدحام المنهج بالمواد يتخم الطالب ويعسر عليه هضم المعلومات ، فبم يعالج إن لم يكن بنقصه وتسهيل صعبه ؟

وحمل على التبسيط فقال : « واقد عمت موجة التبسيط كل مقومات اللغة ، فتناولت اللفظ والأسلوب والصرف والنحو والبلاغة والأدب . فبدت اللغة العربية لذهن الطالب بعد ذلك التبسيط شجرة جرداء مقلمة الفروع جافة الغصون » . وقال : « إن هذا التبسيط يبعد الطالب عن الأساليب القديمة البليغة » . إلى أن قال : « وأعجب العجب ما قرأناه أخيراً من أن أستاذاً في الجامعة يملي على تلامذته تفسير القرآن باللغة العامية »

والذي أراه أن أستاذ الجامعة يسف في التسهيل والتقريب ، والأستاذ عادل الغضبان يوغل في البعد عن مدارك التلاميذ ، ومن أسس التربية الفروغ منها وجوب البدء بالسهل ثم الانتقال منه إلى الصعب ثم إلى الأصعب ، ولكن الأستاذ عادل يريد أن يصدم الأذهان الغضة بالأساليب القديمة البليغة ، وأستاذ الجامعة ينتهي بالجامعيين إلى ما هو دون ما يجب أن يبدأ به ، فالتلميذ يبدأ في السنة الأولى الابتدائية بالمحادثة العربية وينتهي في الجامعة بالبلاغة العامية .. !

ويقال الأستاذ عادل في بيان قيمة القواعد ويرى الإكثار منها في المدارس ، ولم يول اللغة نفسها أي الكلام العربي شيئاً من الاهتمام مع أنه هو الغاية المنشودة ، والأجدى في الوصول إلى هذه الغاية أن نعرض الكلام نفسه مكونا مركبا على الناشيء بمختلف الوسائل ، ليدركه ويتذوقه وينطبع مثاله في ذهنه ، قبل أن نحشوه بتلك القواعد التي تحلل الكلام وتفككه . وبهذا نحقق فائدتين : الأولى تكوين ملكة لغوية يقتدر بها